

ظہر حدیثا

الأداة المحرمة للأستاذین ابراهیم مذکور ومرت غالی (دار الفصول للنشر)

هم هذا الكتاب أن يظهر أثناء الحرب ، ولكن الرقابة حالت دون ظهوره كما أراد صاحبه ، فوزع خفية على بعض الخاصة ، ثم هم أن يظهر مرة أخرى قبيل انتهاء الحرب فوقفت منه الرقابة موقفها الأول ، ثم أتيح له الظهور آخر الأمر بعد أن انتهت الحرب وألغيت الأحكام العرفية . وهو كتاب قيم أقل ما يوصف به أنه يضع أدوات الحكم ووسائله كلها موضع النقد المفصل والتشريح الذي لا يريد أن يخفى شيئاً ولا أن بهمل شيئاً . وسخط الناس على وسائل الحكم شائع في كل وقت ، وهو طبيعي ملائم لحقائق الحياة الواقعة . فالذين يخافون الحكم يسخطون عليهم غاضبين مرة وساخرين مرة أخرى . والذين يحبون الحكم يشفقون عليهم هازلين مرة وجادين مرة أخرى . ولا يمكن أن ترضى أمة حية مثقفة عن وسائل الحكم فيها مهما تكن هذه الوسائل من الدقة والاستقامة والإتقان . فالسامة علامة النفس الشريفة كما كان يقول قاسم أمين . والسخط دليل على الطموح . والأمة التي لا تسأم ولا تسخط ضئيلة الحظ من الحياة .

من أجل هذا لا نشارك المؤلفين في تشاؤمهما الشديد حين يذكران أداة الحكم في مصر . فأداة الحكم عندنا في حاجة إلى الإصلاح وإلى الإصلاحي الكثير العميق ما في ذلك شك ، ولكنها في أكثر بلاد الدنيا تحتاج إلى الإصلاح وتعرض للنقد ، وينالها الإصلاح في لين مرة وفي عنف أخرى بحكم هذا النقد المتصل والذي يجب أن يتصل . والمؤلفان متشائمان من غير شك وإن كانا ينكران التشاؤم الذي يقدم عليه الشيوخ بأساً وضعفاً ، ويقدم عليه الشباب طموحاً وتعجلاً للنفعة . هما متشائمان ، فإذا دل كتابهما على شيء فإنما يدل على أن مصر ليس فيها شيء يعجب أو يروق . فاقصدها فاسد كل الفساد ، وحياتها الاجتماعية سيئة كل السوء ، ووسائل الحكم فيها لا تغني شيئاً ،

وقد تضر كثيراً . وما ننكر أن في هذا كله شيئاً من الحق . وما ننكر أن مصر في حاجة إلى أن يعاد بناؤها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . ولكن الأمور في حاجة إلى أن يؤخذ فيها بغير هذا التشاؤم الذي قد يصور الرغبة في العمل ولكنه يصور اليأس من العمل أيضاً .

ولو أتيح الحكم للمؤلفين لكان من الممكن جداً أن يكون كتابهما شيئاً وتنفيذهما لما في هذا الكتاب شيئاً آخر . والشئ الذي ليس فيه شك هو أن المؤلفين الأدبيين قد جلسا على النهر ونظرا للسفينة في وسطه تعصف بها الريح ، ففكرا وقد راوا وأشارا ، ولسنا ندرى أيسمع لهما الملاح أم يضع أصابعه في أذنيه وهما بما فكرا وقد راوا وأشارا قد فتحا للشباب أبوابا يلجون منها إلى النقد السياسي والإداري . وهما قد يخطئان وقد يصيبان في هذا الفصل أو ذاك من فصول الكتاب ، ولكن خطأهما لا يغير شيئاً من إخلاصهما في النصح وتوجيههما للمصلحة العامة وتوفيقهما الكثير إلى تشخيص الأدواء ، وتوفيقهما أحياناً إلى وصف الدواء . وليس هذا بالشئ القليل . وللقننين وحدهم أن يناقشوا ما في الكتاب من رأى . فأما نحن فنقدمه إلى القراء مثنيين عليه حاثين على قراءته ، ونتمنى أن يكون المؤلفان في الحلقتين الباقيتين من هذه السلسلة أحرص على توخي الدقة في اللفظ وتجنب الإهمال في الاستعمال . فكتابهما يزيد على ثلاث مئة صفحة وهما يقولان إنه أسطر . وهما ينكران أن يكون الإصلاح الاجتماعي غاية ليثبتا أنه ثمرة . وما نكاد نعرف الفرق بين الغاية والثمرة . وهذا النحو من إرسال الألفاظ في غير توخٍ للدقة في معانيها شائع في الكتاب شيوعاً شديداً ، لعل مصدريه أن المؤلفين يتأثران بلغة الصحف أكثر مما يتأثران بدقة الفن الذي يكتبان فيه .

الاسلام والمروءة للأستاذ سعيد الأفغاني (مطبعة الترقى بدمشق)

وهذا كتاب آخرهم أن يظهر منذ أعوام ولكن أحداث الدهر أضاعت نسخته قبل أن تقدم إلى المطبعة ، فاضطر الأستاذ المؤلف أن يعيد إنشاءه وأسدى بذلك إلى البحث العلمي وإلى الأدب يداً مشكورة حقاً . فالكتاب قيم جليل النفع على صغر حجمه . وأكاد أقول إنه قيم جليل النفع لصغر حجمه ، فقراءته ميسورة يقدم عليها القارئ في غير تردد ولا إشفاق . فإذا بدأ القراءة لم يدع

الكتاب حتى يتمه لأنه سمح في تعبيره كما انه سمح في تفكيره ، ليس فيه تكلف ولا تعمل ، وليس فيه هذا التحايل الذي يلجأ إليه كثير من المؤلفين حين يعرضون لمثل هذا الموضوع الجديد القديم الذي يتصل بالدين من جهة وبالحضارة الحديثة من جهة أخرى ، وإنما استقبل المؤلف موضوعه في أناة مطمئنة وثقة راضية ، وسار في عرضه سيراً رقيقاً سهلاً فوق منة إلى ما أراد . وقد أراد أن يعرض على المعاصرين حكم الإسلام في المرأة ، ومقدار ما أسدى إليها من صنعة ، ومقدار ما أتاح لها من حرية ، وما رفعها إليه من مكانة المساواة الصحيحة بينها وبين الرجل . ولم يرد أن يضيع وقته ووقت القارئ في التماس الأدلة من هنا وهناك وعرض النصوص التي تقبل الأخذ والرد ، وإنما اعتمد على القرآن الكريم وما صح من الحديث الشريف . واستخلص من هذين المصدرين المطهرين حال المرأة المسلمة ، فإذا هي حال خير من حال المرأة في كثير من الحضارات القديمة والحديثة ، وإذا هي حال ملائمة لما يطمح إليه الإنسان الكريم من استكمال الشخصية والكرامة في هذا العصر الحديث . فللمرأة شخصيتها الكاملة ، ولها حقوقها المدنية والاجتماعية والاقتصادية كأحسن ما تطمع المرأة الحديثة في هذه الحقوق . فإذا كانت هناك خصائص قد يَـزُورُ عنها التفكير الحديث فإنما هي أمور قضت بها ضرورة التطور ، وهي في نفسها خليقة أن تلائم حاجة الناس إذا فكروا فأحسنوا في التفكير .

فتعدد الزوجات مثلاً حقيقة إنسانية لم يبرأ منها القدماء ولا المحدثون . وقد أحاطها الإسلام بقيود تلغيها إن عرف الإنسان كيف يحترم هذه القيود . فالإسلام قد رسم المثل الأعلى ووضح السبل إليه ، ولكنه ترك للإنسان الفرصة التي تمكنه من أن يصني طبعه ويهذب غريزته ويرقى بنفسه إلى حيث أراد الله لها من الطهر والكمال .

وأروع ما في الكتاب أنه يصور الحياة الإسلامية كما صفي ما يصورها القرآن وكأرق ما تصورها السنة النبوية ، فيصل بتصوره هذا إلى العقول والقلوب جميعاً . ويوشك مؤلف الكتاب أن يكون قد توخى سيرة الجامعي الذي يقدم إلى الجامعة رسالة يريد أن ينال بها درجة الدكتوراه ؛ فهو يضع الموضوع بين يديه محدداً بين المعالم ، ثم يلتبس الوسائل إلى تحقيقه متحريراً الدقة ما استطاع إليها سبيلاً حتى يبلغ ما يريد في هذا الإيجاز البديع . ولو أن الأستاذ المؤلف كان

أكثر إلماماً بالحضارات الأجنبية قديمها وحديثها لتجنب بعض الخطأ البسيط أو بعض التعجل في الحكم على أقل تقدير ، ولكنه اعتمد فيما يظهر على كتب لم تصدر عن تحقيق دقيق ، فتورط في بعض الخطأ الذي لا يغض من كتابه وإن كان بحسن ألا يتورط فيه . فما نعلم أن اليونان والرومان بعد أن تحضروا مثلاً كانوا يقتلون نساءهم أو يبيعونهن . وما نعلم أنهم كانوا يذهبون في تعدد الزوجات المذهب الذي صورته المؤلف في حاشية من حواشيه نقلاً عن هذا المؤلف الهندي أو عن ذلك المؤلف الروسي .

من سير النبلاء جزء مخصوص بأمر امرأة في تاريخ الاسلام عائشة بنت أبي بكر الصديق ، مؤرخ الاسلام الامام الحافظ المجبة شمس الدين الذهبي ، قدم له وضبطه وعلق عليه ناشره الاستاذ سعيد الافغانى (مطبعة الترقى بدمشق)

وكأن الاستاذ سعيد الافغانى كان يتقدم لنيل الدكتوراه من السوربون فنشر كتاب الاسلام والمرأة على أنه الرسالة الأولى ، ثم نشر هذا الكتاب الثانى على أنه الرسالة الإضافية . وهذا الكتاب الثانى كما يظهر من عنوانه جزء من سير النبلاء للحافظ الذهبي نشره الاستاذ سعيد الافغانى وضبطه وعلق عليه . فالثناء عليه ثناء على مؤلفه الذهبي وعلى الذى أتاح لنا قراءته . وقد استنسخ الاستاذ هذا الجزء من نسخة مخطوطة في مكتبة حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن حفظه الله .

وللأستاذ أمنية شاركة فيها مخلصين ، وهى أن ينشر كتاب الذهبي كله ؛ فهو من أعظم النخائر الإسلامية في التاريخ والحديث . والاستاذ يتمنى أن يتفضل صاحب الجلالة الامام أو صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود بإباحة هذا الكثر النفيس للمسلمين وللعلماء كافة . أما نحن فنتمنى أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الامام فيأمر بإرسال هذا الكتاب القيم إلى مصر وتهض دار الكتب المصرية بنشره فيما تنشر من كنوز الأدب العربى ، على أن يقوم على ضبطه وتصحيحه الاستاذ سعيد الافغانى ، فقد أثبت بنشره لهذا الجزء وبالجاء الآخر الذى نشره عن ابن حزم أنه أقدر الناس ، على هذا الضبط والتصحيح .

فيصل بن الحسين أصدرته مديرية الدعاية العامة ببغداد (مطبعة الحكومة)

هذا كتاب عن فيصل بن الحسين الهاشمي ، أول ملوك العراق ومؤسس نهضتها الحديثة ورأس الأسرة المالكة في العراق اليوم
 . . . وتاريخ فيصل بن الحسين هو فصلٌ بليغٌ من تاريخ ذلك الجهاد الدائب الذي بدأه العرب منذ أواسط القرن الماضي ، ليثبتوا به أن الأمة العربية التي اجتمعت لها كل أسباب المجد في ماضيها العريق ، لم تزل أهلاً لحمل تبعات المجد في الحاضر وفيما يُستقبل من الأيام . . .

. . . بل إن تاريخ فيصل بن الحسين هو كالمقدمة من ذلك التاريخ الكبير الذي سيخطه المستقبل بيمينه للأمة العربية التي لم تزل على سنن الجهاد الذي رسمه له فيصل الأول لاسترداد حقها في الحرية واعتلاء مكاتها بين الأمم الجديدة بالحياة . وحسبك من هذا التاريخ الكبير أن تكون مقدمته هي سيرة ذلك البطل العظيم : فيصل بن الحسين .

وإنه لمن دلائل التوفيق أن يصدر هذا الكتاب في الوقت الذي اجتمعت فيه بلاد الجامعة العربية لتوكيد ميثاق مشترك يجمعها على أمل ويوحد طرائقها إلى غاية ، ليكون صدوره في هذه المناسبة تحية كريمة لروح ذلك الزعيم العربي الذي رفع صوته في الشرق والغرب باسم الجامعة العربية قبل أن تكون الجامعة العربية . فلم يكن جهاده الدائب في عمره القصير إلا النواة لهذه السرحة الفينانة ، ولم تكن سيرته منذ بدأ إلى حيث انتهى إلا إرهاباً لهذا الحدث الجليل الذي يؤرخ به العرب اليوم حوادث الأيام في تاريخ نهضتهم الموفقة بعون الله .

والحق أن تاريخ الملك فيصل الأول ليس تاريخ ملك من أصحاب العروش والتهجان ، ولا هو تاريخ زعيم من أصحاب المبادئ كان له يوماً صوت وصيت ، ليس ذلك غصب ، ولكنه تاريخ الأمة العربية كلها في حقبة من الدهر خلت فيها أول خطاها إلى الحرية والاستقلال . وقد انتهت حياة فيصل بن الحسين وانطوى تاريخه على الأرض منذ اثنتي عشرة سنة ، ولكن أثره في الذهنية العربية الحديثة لم يزل يعلو على التاريخ ما يكتبه ولن يزال ؛ فهذا الذي نراه اليوم أو نسمعه من أبناء النهضة العربية ، هو رجوع الصدى البعيد لتلك الصيحة التي

أطلقها فيصل منذ ثلث قرن أو يزيد ، حين كانت الأمة العربية تحت وطأة الحكم
 العثماني قد اعتقلت لسانها الأحداث فلا يُسمع لها إلا مثل صوت المختنق يلفظ
 آخر أنفاسه ؛ ولم يكن هناك من يهتف باسم العروبة إلا فيصل بن الحسين ، في
 الأندية الخاصة ، وفي المحافل العامة ، وفي مجلس المبعوثان العثماني باستانبول
 حيث كان فيصل العربي نائباً عن لواء جدة وكان له إلى هذا الصوت
 الصريح جهادُه الصامت لا يقاط روح العروبة ، استعداداً للوثبة التي يهيئ لها
 أسبابها حين يحين الأوان . وقد حان ذلك الأوان عندما اشتعلت الحرب العالمية
 الأولى ، فرفع راية العروبة وقاد الكتائب العربية في طريق النصر والحرية ،
 وخطً بذلك الصفحة الأولى في تاريخ الوحدة العربية

ونحن هنا في مصر قد لا يدرك الكثير منا — على الوجه الصحيح — ماذا
 كانت الدوافع الحقيقية التي دفعت الحسين بن علي وأولاده إلى الوقوف في
 صفوف البريطانيين ليحاربوا الدولة العلية ، في الوقت الذي كانت فيه عواطف
 المصريين جميعاً نحو تركيا . ولعل كثيراً منا — في ذلك الوقت — قد ساءم أن
 ينتفض العرب على الأتراك في أيام محنتهم فيكونوا من أسباب انهيار الإمبراطورية
 العثمانية لعل كثيراً من المصريين قد ساءم ذلك ، لأن البريطانيين في تلك
 الأيام الخالية لم يكن موقفهم من المصريين بحيث يحمل أحداً في مصر على الرضا
 عن مسلك بريطانيا أو الاطمئنان إلى مآلعه ؛ فقد كان المصريون إذن — من
 سوء ظنهم بالإنجليز — في موقف يدعو إلى الحذر والترقب وتعني الأمانى من
 مطلع الشرق . فلما حاءتهم أنباء الثورة العربية ولم يكونوا على علم بأسبابها
 ودوافعها الوطنية ، ظنوا ماظنوا ، ولم ينظروا إلى هذه الحركة على أنها أول
 جهاد العرب لحريتهم واستقلال بلادهم ، والتخلص من ذلك الكابوس العثماني
 الذي يهدد العرب جميعاً بالفناء أو الاندماج في الجنس التركي ، بل نظروا إلى
 تلك الحركة من حيث هي معاونة لبريطانيا التي اغتصبت حق المصريين في الحرية
 والاستقلال وعاملتهم معاملة الأرقاء والعبيد ثم لم يلبث أن انتهك حجاب
 الصبح ، فإذا العرب صفوف مترامة تحت رايتهم ، يقودهم إلى الأمل المنشود
 فيصل بن الحسين ملك سوريا الكبرى ، ثم ملك العراق الناهضة فيما بعد ، وإذا
 المصريون يعرفون لفيصل بن الحسين حقه من الإجلال والتكريم

صحيح أن الإنجليز لم يفوا للعرب بما وعدوا ، ولا يزالون ، ولا يزال حلفاؤهم

الفرنسيون حتى اليوم يحاولون أن يجدوا تفسيراً لما وعدوا به العرب غير ما كان يفهمه العرب يوم وثبوا وثبتهم إلى جانب الحلفاء ؛ ولكن العرب على كل حال لم يكونوا على نية الغدر والخيانة ، وإنما كانوا يسعون لبوغي مآملهم في الاستقلال والحرية . فإذا كانوا لم يبلغوا حتى اليوم كل ما كانوا يأملونه ، فلا بد أن يبلغوا يوماً ما ، مادام معهم الإيمان والبصيرة كما كان يقول فيصل بن الحسين في بعض حديثه . . .

ذلك هو فيصل الأول كما يصوره هذا الكتاب الذي بين يدي ، والذي أصدرته مديرية الدعاية السامة بالعراق مند قريب ، تخليداً لذكرى فيصل واعترافاً بحميله على العرب . ولقد يقع في وهم أحد من لم يقرأوا ذلك الكتاب أنه — قد أصدرته مديرية الدعاية الرسمية في حكومة بغداد — كتلب من تلك الكتب (الرسمية) التي تصدرها الحكومات عن الملوك وؤساء الدول : ليس فيه إلا (الصورة الرسمية) كما يراد أن يراها الناس ، لا كما هي في رأى الناس ومرأى أعينهم . وقد كنت أنا أحسبه كذلك قبل أن آخذ في قراءته ، فما كدت أتناوله من أولى صفحاته حتى رأيت شيئاً غير ما كنت أنتظر ، فضيت في قراءته لم أقف إلا عند آخر صفحة منه ؛ ثم لم يزدنى ما قرأت فيه إلا يقيناً بأن فيصل بن الحسين — زعيم النهضة العربية الحديثة — كان رجلاً مهماً يبلغ الواسفون من وصفه فلن يبلغوا أدنى منازل من العظمة . . .

وقد جمع الكتاب إلى ما جمع من سيرة الملك فيصل الأول ، طائفة من خطبه وأحاديثه والوثائق الرسمية التي تتصل بتاريخ عصره ؛ فهو كتاب أدب ، وكتاب تاريخ . وهو إلى هذا وذلك سيرة بطل من أبطال العروبة يندر مثله بين طبقات الرجال !